علم الدلالة مقاربة وتطبيق

أ. د. محمود خليف خضير الحياني
الكلية التقنية الإدارية، الموصل/ الجامعة التقنية الشمالية / العراق

ملخص البحث :

يعدّ علم الدلالة من أقدم العلوم اللغوية التي ساعدت في الكشف عن العلاقة بين المعنى واللفظ أو الدال والمدلول ، والتي تجلت عبر التاريخ على وفق علاقات اتخذت طرق ورؤى مختلفة للعلاقة بين الدال والمدلول من حيث المطابقة والاختلاف ، والتي انفتحت وتداخلت في الوقت الحاضر بالعلوم الإنسانية التي عملت على تطّعيمها بوظائف جديدة منها النفسية ،والسياقية، والمنطقية ،والنحوية ، والتي على أثرها عملت على أن يكون علم الدلالة من العلوم المهم جدا ، فالإشكاليات التي طرحتها المناهج اللغوية والنقدية الحديثة كلها يدور حول المعنى والدلالات وكل منهج أو فلسفة يحاول أن يغيب طرف على حساب طرف آخر ، فالسيرورة التي اشتغلت عليها الكلمات والحروف من حيث المعنى الأحادي، ومجازيتها ، وحقيقتها ، وكذبها ومعناها الواحد أو معانيها المتعددة ، ورمزيتها ، وأحاديتها تداخل فيها الديني بالشعري ، والثقافي بالمعرفي ، والتي حاول علم الدلالة أن يجد لها حلا ، ولكن الصعوبات الكثيرة التي تواجه المشتغلين في حقل الدلالات أو علم الدلالات تجلت في ارثها الطويل، وإشكالية المواضيع التي تتم معالجتها ، فضلا عن جدلية الطرح الذي قدمته مباحثه تتحدث عن أصل اللغة التي في أكثر المرات قامت على أسس بعيدة عن العلمية مرتبطة بالفرضيات أو التكهنات ، فضلا عن كثرة نظرياتها وتنوعها وتشعب مجالات استعمال مصطلحاته العلمية الكثيرة التي في بعض الأحيان يحدث فيها نوعا من الخلط أو التداخل والاشتباك المعرفي للمفهوم أو المصطلح الواحد .وهذا ما يحاول البحث الكشف عنه .

Research Summary:

The semantics are the oldest linguistic sciences that have helped to reveal the relationship between meaning and word or word and meaning, which has been manifested throughout history in accordance with relations taken different ways and visions of the relationship between the Dalal and the meaning in terms of conformity and difference, which has opened and overlapped at present with the humanities that worked To be vaccinated with new functions, including psychological, contextual, logical, and grammatical, which have worked to be a semantics of science is very important, the problems posed by modern linguistic and monetary curricula all revolve around the meaning and meanings and every approach or philosophy trying to change the To the account of another party, the process of which the words and letters worked in terms of monotheistic meaning, its metaphor, its truth, its lie, its one meaning or its multiple meanings, its symbolism, and its monolithic overlapping of the religious and the cultural, and the knowledge which the semantics tried to find a solution, Which faces the workers in the field of semantics or semantics manifested in the long legacy, and the problematic issues that are addressed, as well as the dialectic of the subtraction presented by his talk about the origin of the language, which most often based on the foundations of science is linked to hypotheses or speculation, And diversity The use of many scientific terms in which there is sometimes a kind of confusion or overlap and cognitive clash of one concept or term. This is what the research tries to detect.

الكلمات المفتاحية :
علم الدلالة القديم:Ancient semantics، علم الدلالة الحديث : Modern semantics، أصل اللغة،Native Language، الحقل الدلالي: Semantic Field...

المرجعيات التاريخية ومباحثه الحديثة

المبحث الأول

علم الدلالة الجذور التاريخية

تعود الجذور الأولى **للعناية** بعلم الدلالة إلى بداية التفكير اللغوي في العصور القديمة، إذ تكشف المدونات القديمة عن أنّ الهنود قديما كان كتابهم المقدس (الفيدا) منبع الدراسات اللغوية

، إذ درسوا الدلالة والعلاقة بين اللفظ والمعنى ، **إما** عند اليونانيين فيما بعد فقد تبلورت عندهم مفاهيم لغوية لها علاقة بعلم الدلالة ، فقد حاور أفلاطون أستاذه سقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله ، **والتي تجلت** عند أرسطو في المبحث الدلالي عندما كان يقول باصطلاحية العلاقة اللغوية ، ذاهبا إلى تقسيم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس ، فضلا عن تميزه بين المعنى والصوت . وكان للرومان الجهد الكبير فيما يتعلق بالنحو ،إذ يعود **إليهم** الفضل الكبير في وضع الكتب المدرسية التي بقيت صالحة إلى حدود القرن السابع عشر بما حوته من النحو اللاتيني . ولقد بقيت العناية بالمباحث الدلالية تزداد عبر التاريخ ، ففي عصر النهضة وتحديدا في الفترة التي ساد فيها المذهب الكلاسيكي ، إذ امتازت الدراسات اللغوية في هذه الفترة بالمنحى المنطقي العقلي متمثلا في رواد مدرسة (بور رويال) الذي طرح مقولة مشهورة تتبلور في أن اللغة ما هي إلاّ صورة للعقل ، وأن النظام الذي يسود لغات البشر جميعا قوامه العقل والمنطق.

وفي حدود القرن التاسع عشر **الميلادي** تشعبت الدراسات اللغوية فلزم ذلك تخصص البحث في جانب معين من اللغة ، فظهرت النظريات اللسانية وتعددت المناهج ، فبرزت الفونولوجيا التي اهتمت بدراسة وظائف الأصوات إلى جانب علم الفونيتيك الذي كان يهتم بدراسة الأصوات المجردة ، كما **برز** أيضا الإيتيمولوجيا[1] التي اعتنت بدراسة الاشتقاقات في اللغة ومن ثمة علم الأبنية والتراكيب الذي يختص بدراسة الجانب النحوي وربطه بالجانب الدلالي في بناء الجملة .

ولقد كانت لهذه الجهود اللغوية الدور الرئيسي في إرساء قواعد عامة في البحث الألسني، والدلالي أفاد منه علماء اللغة في القرن التاسع عشر ، والذي تجلى فيما قدمه العالم الفرنسي (ميشال بريال) في الربع الأخير من القرن التاسع عشر فقد وضع مصطلح **يشرف من خلاله** على البحث في الدلالة مقترحا دخوله اللغة العلمية ، وهذا المصطلح **أُطلق** عليه (السيماتيك) وهو مصطلح يدل على علم المعاني ، إذ إنه درس المعنى بوصفه فرعا مستقلا من علم اللغة في كتابه (محاولة في علم المعاني) أشار فيه إلى ماهية علم الدلالة ، عاملا على **أبداع منهج جديد** في دراسة المعنى منطلقا فيه من الكلمات نفسها لمعاينة الدلالات دون ربط ذلك بالظواهر اللغوية الأخرى . وعلى ضوء هذا الطرح حدد علم الدلالة على أساس قواعد من حيث إن اللسانيات تهتم بشكل الكلمات فإن علم الدلالة يهتم بجوهر هذه الكلمات ومضامينها . فضلا عن أن الهدف الذي ينشده علم الدلالة هو الوقوف على **القوانين** التي تنظم تعبير المعاني وتطورها

[11]. الإيتيمولوجيا مصطلح يشير الى التأصيل والإثالة وعلم التجذير وعلم تاريخ الألفاظ .

والقواعد التي تسير على وفقها اللغة . كذلك اتبع علم الدلالة المنهج التطوري التأصيلي الذي يقف على ميلاد الكلمات ويتتبعها في مسارها التاريخي ، ويردها إلى أصولها[1] .

ويمكن القول إن هذه القواعد هي **الأطر الكبيرة** التي يندرج ضمنها منهج (ميشال بريال) في علم الدلالة ، وعلى الرغم من هذه النزعة الاستقلالية لعلم الدلالة. **فإنه** لابد من القول إن نشأة علم الدلالة لم تكن نشأة مستقلة عن علوم اللغة الأخرى ، إذ كان يعد **جزءً** لصيقا بعلم اللسانيات والذي اختلف عنه من حيث كون اللسانيات تهتم بوصف الجوانب الصورية للغة وتتجنب الخوض في استنباط جوهر الكلمات ومعانيها التي **أصبحت** من اهتمامات علم الدلالة (الحديث) وهو ما دفع علماء اللسانيات إلى **إبعاد** علم الدلالة من اللسانيات في بداية تكوينها ، إذ لم تكن للسانيات اهتماما واسعا باللغة الإنسانية إلى أن تطورت بعد ذلك إلى البنيوية التي بدأت تهتم بكل جوانب الظواهر اللغوية المتجلية في الجانب الصوتي، والمعجمي ،والتركيبي، والدلالي . وعلى الرغم من هذا التزاوج بين علم الدلالة واللسانيات. فإن علماء الدلالة وجدوا هذا التداخل أو التزاوج فقيرا وهزيلا يحتاج إلى نظرة أخرى على مستوى البحث والمنهج ، وهذا ما عبّر عنه انفتاحهم أو **إفادتهم** من العلوم الحديثة التي تمثلت بنظريات **الإعلام**، والتواصل، والمعلوماتية التي عمقت مباحث علم الدلالة .

ولعل ما يميز علم الدلالة عن اللسانية في أنه يتمثل في دراسته العميقة في معنى الكلمات والتراكيب متخذا في ذلك منهجا خاصا يتوخى المعيارية في اللغة والكلام . ونظرا لهذا التعمق في معنى الكلمات والتراكيب فإن مقاربة علم الدلالة تتصف **باتساع** المعنى والذي أدى بعد ذلك إلى بروز مجالات ومدراس مختلفة ومتنوعة في علم الدلالة قاربت المعنى بطرق ونظريات مختلفة .

وإذ أردنا التوسع في علم الدلالة أو الدلالية في الوقت الحاضر فإنعلم الدلالة قد تداخل في مجالات وعلوم إنسانية كثيرة حاولت أن تقارب المعنى مثل علم النفس، والاجتماع، والمنطق، وعلوم الاتصال ،والإشارة حتى إنه لم تعدّ الدلالة حكرا على النظام اللغوي وحسب وإنما شملتها أنظمة سيميولوجية أزاحت الهيمنة اللغوية بل وضعتها معها في البحث جنبا إلى جنب .

ولو حاولنا أن نحدد ماهية الدلالة فإننا نجد أن علماء الدلالة قد اختلفوا في الوقت الحاضر في محاولة البحث عن ماهية الدلالة بين الوصفية والمعيارية ، إذ إنه في بداية البحث الدلالي في العصر الحديث كان المنهج الوصفي يعاين **أجزاء** الظاهرة اللغوية معاينة وصفية تعتمد طريق الملاحظة ،والتحليل، والاستنتاج ، ثم ارتقى هذا المنهج الوصفي إلى مرحلة التنظير والتقعيد الذي يعتمد على المنهج المعياري، وذلك بعد نزوع الباحثين اللغويين نحو تشكيل معالم مشروع دلالي له استقلاليته .

[1] . منقور عبد الجليل : علم الدلالة ، أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ط1 ، 2001، ص : 14 . 15 . هذا كتاب وليس مجلة .

وعلى أساس هذا التمدد الماهوي للدلالة فإننا يمكن أن نعرف علم الدلالة بأنه العلم الذي يعني بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية . وهو بذلك يرتبط بالسمات المنطقية النفسية، والتاريخية أكثر من اتجاهه نحو العلل اللسانية[1] .

المبحث الثاني

مباحث علم الدلالة الحديث

وفي ضوء هذا التحديد التاريخي والماهوي لعلم الدلالة فإننا يمكن أن نحدد مباحث علم الدلالة الحديث وذلك عن طريق حصر موضوع دراسة علم الدلالة في طرفي الفعل الدلالي (الدال والمدلول) وما يتفرع عن ذلك من أبحاث تخص الدال من جهة والمدلول من جهة أخرى والعلاقة التي تجمع بينهما . **ولمّا** كانت اللغة تمثل أهم موضوع دلالي فإنها مثلت المبحث الأول في علم الدلالة فقد بحث عن موضوع اللغة وبداية نشأتها، **وأصلها** ،**وولادتها** التي توصل **إليها** علماء الدلالة واللغة ، **إذ** قد تبلورت ثلاثة اتجاهات حاولت أن تحدد أصل اللغة ، فاتجاه ذهب إلى أن اللغة **قائمة على أساس توقيفي**(طبيعي) ، وهناك **اتجاه** آخر ذهب إلى أنها عرفية اصطلاحية ، واتجاه ثالث حاول أن يجمع بين هذين الرأيين ، ولقد تنوعت دراسة ماهية اللغة في البحث الدلالي واللسانية من حيث التاريخية، والوصفية، والتزامنية، والآنية ، متوجهة إلى تحليل بنيتها العميقة والسطحية ، وكذلك وظائفها الإنشائية، والمرجعية ...الخ[2] .

وتجلى المبحث الثاني في البحث عن الدال والمدلول فقد شكلت مسألة الدال والمدلول والعلاقة بينهما من القضايا المهمة في علم الدلالة . إذ يقوم عمل علم الدلالة على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول وهي علاقة لا يمكن ضبطها ألا إذ تعرفنا على طبيعة كل من الدال والمدلول وخواصهما ، وفي هذا **الإطار** فإن الدال اللغوي لا يمكن بحال من الأحوال أن يحيلنا على الشيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة ، وإنما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير **إليه** العلامة اللسانية . وعلى أساس ذلك فقد اتخذ منحى الدلالة **أبعادا** ترمي إلى تعميق الدراسة لرصد العلاقة التي تجمع الدال بالمدلول ، والذي تم فيها رسم منهجي لهذا العلاقة لطرفي الفعل الدلالي الذي حدد في جانبين ، جانب داخلي للدليل وذلك بتحليل المدلول بأساليب مختلفة **يعود به** إلى صفاته الدلالية . وجانب خارجي للدليل يقوم على تحليل علاقات الدليل ببقية المعجم في **إطار** الحقول الدلالية ، وتفرعت المباحث الدلالية في الوقت الحاضر لتشمل عناصر الدلالة الثلاث : الدال، والمدلول، والمرجع والذي يعدّ من تخصص السيميائية .

ولا بد من القول إن المدلول في علم الدلالة تمت مقاربته في جوانب كثيرة منها جانب يدرس المدلول على أساس العلاقة التي يقيمها المدلول مع الأشياء التي يومئ إليها أو **يعبّر** عنها (المفاهيم . العواطف ،

---

[1] . منقور عبد الجليل : علم الدلالة، ص : 15 ـ 40 .

[2]. عبد السلام المسدي : اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط1 .1986، ص 23 ـ 58

معطيات العالم الخارجي) ، وجانب ثان يتمثل في العلاقة التي يقيمها المدلول مع غيره من المدلولات ، وجانب ثالث يتمثل في العلاقات التي **تنشأ** بين السمات الأساسية التي تتكون منها المدلولات[1] .

ولقد توصل علماء الدلالة في العصر الحديث إلى تصنيف للمدلولات بالاعتماد على عدة طرق منها : الطريقة الشكلية التي **تُعنى بتصنيف** المدلولات وفقا للشكل الذي يجمعها في بنية واحدة بتفرعها عن أصل واحد يبرز القرابة بينها مثل علم يعلم تعلم ..الخ ، والطريقة الأخرى السياقية والتي تفيد بأن المدلولات تصنف باعتبار المعنى الذي ترد من خلاله في السياقات المختلفة . والطريقة الموضعية وهي تعني أن المدلول يتحدد من خلال الموضع والموقف الذي يكون فيهما المتكلم ، وهناك طريقة تقوم على الحقول الدلالية وهي التي تكشف عن القرابة المعنوية بين المدلولات ، أما التحليل المؤلفاتي فهو طريق تفيد بأن المدلول يعين انطلاقا من مؤلفات الكلمة الأساسية .مثل (المؤلفات التالية : أنثى ـ بالغ ـ بشر)[2]

ويتطرق المبحث الثالث إلى أقسام الدلالة الذي يرفض المعنى الواحد الذي يقدمه المعجم مؤكدا على أن هناك كلمات ومعان تتحدد من السياق أو الجملة ولقد ميز علماء الدلالة بين معان كثيرة : المعنى الأساسي أو التصوري الذي تحمله الوحدة المعجمية ، والذي اختلف معه المعاني الأخرى . فالمعنى الإضافي أو الثانوي ، والمعنى الأسلوبي ، والمعنى النفسي ، والمعنى الإيحائي هي **معان** تتجاوز معنى المعجم أو القاموس إلى المعنى الذي يأتي من السياق أو الثقافة أو المتكلم أو استعمال اللغة .

ولم يكتف علماء الدلالة بهذه المعاني فقد قسموا اعتمادا على معايير أخرى ترتبط بطرفي الدال والمدلول التي لا تبتعد عن ثلاث اعتبارات أو معايير وهي : اعتبار العرف ، و الطبيعة ،و العقل ، وبذلك فإن الدلالة أما عرفية، أو طبيعية، أو عقلية، واستنادا إلى هذه المعايير، فالدلالة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف، دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام ، وهذه الدلالات الثلاثة تندرج ضمن دلالة عامة هي الدلالة الوضعية التي هي قسم من أقسام الدلالية اللفظية ، وبناء على ذلك فأقسام الدلالة في العصر الحديث تتفرع إلى ستة أصناف يمكن تمثيلها في الترسيم التالية[3] :

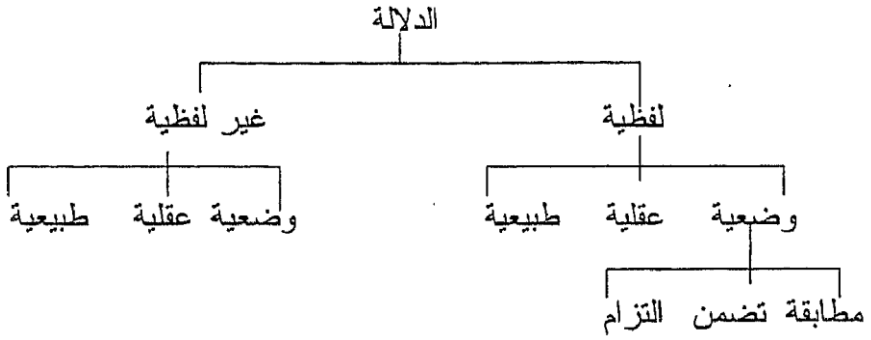

[1]. عبد السلام المسدي : اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 51 ـ 78

[2]. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار ، القاهرة 1411هـ، ص 55 .

[3] . د. محمد يوسف حبلص ، للغة والدلالة البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، 1991، ص 133 .

ويحدد المبحث الرابع التطور الدلالي من خلال محاولة تأطير تغير المعنى بقواعد وقوانين ، فقد **بحث علماء** الدلالة في هذا المجال أسباب تغير الدلالة،وأشكالها،وصورها ، وقد **اكتشفوا** أن التطور الدلالي . هو تغيير الألفاظ لمعانيها . ذلك أن الألفاظ ترتبط بدلالتها ضمن علاقة متبادلة . فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغير في هذه العلاقة . ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاه متصاعد دائما إنما قد يحدث أن يضيف المعنى أو يخصصه ، كما يتسع أو يعمم المعنى أيضا ، فيكون الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى العام ، وقد يحدث العكس[1] .

أما **أبرز** عوامل التطور الدلالي فإنه يمكن أن تقسم إلى العامل الاجتماعي ،والثقافي، والعامل النفسي، والعامل اللغوي.

ويقوم المبحث الخامس على أساس الحقيقة والمجاز والعلاقة الجدلية بينهما وما قد يحدث من حالة تتحول فيه معاني المجاز إلى حقيقة ، والحقيقة إلى مجاز وغيرها من الأمور البلاغية التي تخص المجاز والاستعارة وما يضيفه من اتساع في المعاني لذلك مثل موضوع علم الدلالة[2].

ويعدّ المبحث السادس مبحث الحقول الدلالية من المباحث التي لم تتبلور فيها نظرية دلالية جامعة رغم الجهود اللغوية لعلماء الألسنية، والدلالة والتي أنتجت رؤى مختلفة حول تصور للحقول الدلالية ، ولقد انتهى علم الدلالة إلى تصنيف للحقول الدلالية باعتبار ما تتضمن من الأدلة اللغوية ، وما تحيله عليه في عالم الأعيان والأذهان ، وهو لا يخرج عن جنسين من المدلولات : مدلولات محسوسة ،ومدلولات تجريدية .

والمدلولات المحسوسة تتفرع الى قسمين : محسوسات متصلة ، ومحسوسات منفصلة وبناء على ذلك توصل أولمان إلى تقسيم الحقول الدلالية إلى أنواع ثلاثة هي :

1 ـ الحقول المحسوسة المتصلة مثل التي تشمل على الألوان.

2 ـ الحقول المنفصلة مثل التي تشمل على الأسر .

3 ـ الحقول التجريدية وهي تضم عالم الأفكار المجردة .

وعلى الرغم من أن هذه التفريعات التي بحثها العلماء ، تعتبر أسس الدراسة في مبحث الحقول الدلالية الذي برز في شكله الأولى في صورة المعاجم اللغوية التي صنفت الأشياء الموجودة في عالم الأعيان ، ونتيجة لتقدم العلوم وتشعب المعارف ، أحتاج الإنسان إلى تصنيف علمي جديد يؤطر معارفه ويمنع عنه اللبس المصاحب لاستعمال اللغة التي هي أداة المعرفة والعلم ،فتوصل إلى وضع معاجم لغوية جامعة ومصنفة لمفردات اللغة بشكل دقيق ، اصطلح على تسميتها ـ نظرا لسيادة النظرة الطبيعية العلمية في ذلك العصر ـ بالحقول الدلالية[3] .

---

[1]. محمد داود، دار غريب ، لدلالة والكلام في العربية المعاصرة، ، القاهرة 2002، ص 122 .

[2]نعوم تشومسكي ، ترجمة عدن انحسن: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، دار الحوار للنشر ، سوريا، ط1، 2009، ص 33 ـ 60 .

[3] . فايز الداية : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، ، دار الفكر المعاصر، دمشق ، ط2 ، 1996 ، ص: 11 ـ 35.

ولا نجانب الصواب في القول إن النزوع نحو تأسيس نظري للمبحث الدلالي العام ، كان ولا يزال دأب الدراسات التي تناولت مسألة (المعنى) ، ورمت إلى بلورة أفكار ونظريات قاربت مسألة الدلالة من جوانبها المتعددة ، إذ برزت أهم النظريات الدلالية في وجهتين، وجهة النظريات الأوروبية أو الغربية ، ووجهة النظريات الأمريكية والتي يمكن أن نحصرها بصورة عامة عند الغرب والأمريكيين بالنظريات التالية :

1 ـ النظرية الإشارية : التي كانت تنظر إلى الدلالة على أنها هي مسماها ذاته ولقد تأثر بالطرح اللساني الدوسوسيري من حيث علاقة الدال بالمدلول ، ومن أهم روادها هما (اوجدن ، وريتشاردز) .

2 ـ النظرية التصورية أو الفكرية : وهي التي ركزت على مبدأ التصور الذي يمثله المعنى الموجود في الذهن ، وتعود جذور هذه النظرية إلى (جون لوك)

3 ـ النظرية السلوكية : وهي النظرية التي ركزت على الملاحظة والمشاهدة ، إذ أعطت هذه النظرية اهتماما للجانب الممكن ملاحظته علانية وهي بهذا تخالف النظرية التصورية التي تركز على الفكرة أو التصور .وأهم روادها (بلومفليد)

4 ـ النظرية السياقية : إنها النظرية التي نظرت إلى أن نظام اللغة نظاما متشابك العلاقات بين وحداته اللغوية ، وفي الوقت ذاته أنها مفتوحة دوما على التجدد والتغير في بنياته المعجمية والتراكيبية، والاستعمال، والسياق ، حتى غدا تحديد دلالة الكلمة في هذه النظرية تحتاج إلى تحديد مجموعة من السياقات التي ترد بها بعيدا عن المعجم ، وهذا ما نادت به النظرية السياقية التي نفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية معتمدة على السياقات ، ولقد حدد علماء الدلالة أربعة أنواع من السياقات : السياق اللغوي ، والسياق العاطفي الانفعالي ، وسياق الموقف أو المقام ، والسياق الثقافي والاجتماعي .

5 ـ النظرية التحليلية : تهتم هذه النظرية بتحليل الكلمات إلى مكونات وعناصر ، ومن أبرز روادها (كاتزو فورد) .

6 ـ النظرية التوليدية : تعد هذه النظرية من أشهر النظريات اللغوية حاليا ، ويعتبر (نعوم تشومسكي) رائد هذه النظرية التي تستند على الية توليد جمل صحيحة اعتمادا على كفاية المتكلم (الكاتب) اللغوي ويعني ذلك توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل متكلم اللغة تتيح له ما شاء من الجمل . ولقد انطلق تشومسكي لتدليل على وجود الكفاية اللغوية عن طريق ملاحظة تعلم اللغة عند الأطفال ، الذين يتعلموا تركيب الجملة بسرعة عن طريق تعلم الكلمات ووضعها في سياقات مختلفة النحو والمعنى ، لكونهم يولدون ولديهم قابلية فطرية لتكوين النحوية .

7 ـ نظرية الوظيفة المنطقية في المعنى : تصور معنى الكلمة أو الجملة عند أصحاب نظرية الوضعية المنطقية ينبني على نظريات متباينة ، وأن كانت كل نظرة من هذه النظرات هي عبارة عن امتداد معرفي

لأفكار سبقتها وتأسست فلسفتها على جملة من الانتقادات التي وجهها لها علماء اللغة عامة وأهل المنطق والفلسفة خاصة ، من رواد هذه النظرية (مورتسشليك) المؤسس الأول ، والعالم (اتونيراث) و(همبل) و(كارنب) و(الفرد جولر اير) و(فردريك وابزمان) . إذ ذهب (شليك) إلى أن معنى قضية ما ، هو طريق تحقيقها وذلك بتوفر شروط للتحقيق تكون على أثرها القضية صادقة ، من ذلك الواقع التجريبي للمعنى وهو ما وسم نظريته بالنظرية التجريبية في المعنى ، ولقد وضع شليك معايير ثلاثة لتحديد معنى الكلمة : أما بالإشارة إلى مسماها المعين (الشيء في العالم الخارجي) ، أو بالتكافؤ والترادف ويخص ذلك الكلمات التي تعتبر محمولات تجريبية مثل : مربع ، شجرة ... أو بالاستخدام في السياق اللغوي وذلك خاص بالكلمات التي لا تعتبر محمولات تجريبية مثل : إذا ، الآن ... وغيرها من الصيغ التي لا معنى لها ألا في داخل السياق[1] . ولا يبتعد بعيدا عن هذا الطرح ما ذهب إليه (كارنب) بعدّ جملة أفكار قدمها حول تصوره لمعنى الجملة أو القضية ، انتهى إلى رد ذلك إلى الواقع التجريبي ، وذلك بعد إدراكه أن اللغة هي حاملة لواقع ومعبرة عنه وليس عبارة فقط عن تراكيب وانساق لغوية[2].

8 . النظرية البراجماتية : قريبة من نظرية (تشارلز بيرس) ومن نظرية أصحاب الوضعية المنطقية ، وذلك في اعتمادها على الملاحظة الحسية المباشرة ، وتحقيق المعنى في الواقع التجريبي . إذ يرى بيرس أن تصورنا لشيء ما يكون عن طريق أثاره العملية في الواقع . فالطابع الوظيفي للشيء هو الذي يحدد تصورنا حوله . فالتيار الكهربائي مثلا لا يعني مرور موجة غير مرئية في مادة ما. وإنما يعني مجموعة من الوقائع : مثل دق الجرس ، أو الإنارة وغيرها[3].

9 ـ نظرية مور ـ كواين : يرى جورج مور أن تصور معنى كلمة أو جملة يمر عبر إجراءات تحليل صحيح يقوم على خطوتين: التقسيم، والتمييز وعلى معايير ثلاث هي: التكافؤ المنطقي، والترجمة، والترادف. فمعيار التكافؤ المنطقي يعني تحليل مقارب لتصور المعنى (موضوع البحث) إلى جملة تصورات أخرى تكافئه وتساويه؛ وذلك من أجل التحقق من المعنى ، أما معيار الترجمة فليس يعني نقل كلمة من لغة إلى أخرى ، وإنما يعني ترجمة التصور إلى تصورات تصل معه إلى حد التكافؤ وينتج عن ذلك تساو في المعنى بين التحليل وموضوعه ، وهو ما يسمى بـ(الترادف) . فالترجمة تفضي إلى التكافؤ الذي يفضي بدوره إلى الترادف[4] .

وعلى الرغم من هذه الطابع الغربي لهذه النظريات فإن هناك باحثين عرب قدموا دراسات برهنت على أصالة علم الدلالة العربي الذي تجلى في المدونات العربية القديمة في جميع فروع اللغة في الدراسات

---

[1]. عبد الكريم محمد حسن : في علم الدلالة، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997، ص 22 ـ 25.

[2]. عبد المجيد جحفة ، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، المغرب، 2000، ص222 .

[3]. وليام جميس ، ترجمة محمد علي العريان ، تقديم زكى نجيب محمود ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2008، ص 198 . 203 .

[4] . محمد علي الخولي : قواعد تحويلية للغة العربية ، دار الفلاح ، الأردن ، ط1 ، 1999 ،ص 6 ـ 31

اللغوية، والفلسفية، والأصولية ،والفقهية، والنقد الأدبي، والبلاغة .. الخ[1] . ولكن ما يمكن الإشارة إليه في هذا السياق هو أن ما منعنا من التطرق إلى مباحث علم الدلالة في التراث العربي في هذا البحث أنه يحاول أن يقارب النظريات الغربية الحديثة ، وهو ما دفعنا إلى عدم التنويه أو الإشارة إلى مباحث الدلالة في الثقافة العربية القديمة .

المبحث الثالث

مقاربة قصيدة الحارث بن حلزة

تعود الجذور الأولى للعناية بعلم الدلالة إلى قرون طويلة حاولت الربط بين العلاقة بين اللفظ والمعنى من حيث العلاقة التطابقية أو الاصطلاحية أو التماثل أو الاختلاف ، أو من حيث عقليته أو منطقيته، ولكن ما قدمته العصور السابقة لعلم الدلالة لا يمكن أن يماثل ما قدمه القرن التاسع من التشعب في هذا العلم التي ابتدأت من الصوت أو الحرف أو بالاشتقاقات والأبنية والتركيب التي تختص بالجانب النحوي في بناء الجملة ، وأن التقدم في دراسة علم الدلالة الذي ظهر في المنهج التطوري التأصيلي الذي يقف على ميلاد الكلمات وتتبع مسارها التاريخ ، ويمكن القول بصورة عامة أن علم الدلالة له علاقة بعلم اللسانيات ، والذي اختلف عنه من حيث كون اللسانيات تهتم بوصف الجوانب الصورية للغة وتجنب الخوض في استنباط جوهر الكلمات ومعانيها التي أصبحت من اهتمامات علم الدلالة الحديث ، وبهذا الوصف يلتقي علم الدلالة بالبنيوية في الجانب الصوتي والمعجمي والتركيبي والدلالي ، ولو أردنا أن نحدد ماهية الدلالة التي اختلفوا فيها فإنها تتحدد ما بين الوصفية والمعيارية ، فالمنهج الوصفي يدرس الأجزاء الظاهرة اللغوية معاينة ووصفا وملاحظة وتحليل واستنتاج وتنظير إلى مرحلة التقعيد في المنهج المعياري .

أما مباحث علم الدلالة ، فهي الدال والمدلول ، واصل اللغة ونشأتها ، وعلاقة المدلول مع الأشياء التي يومئ إليها ، وفي علاقته التي يقيمها مع غيره من المدلولات . ولأجل اختبار ومقاربة علم الدلالة في النص الشعري فإننا سنقارب قصيدة الحارث بن حلزة في قوله :

1 ـ لمن الدّيارُ ، عفون بالحبس

آياتها كمهارق الفرس

2 ـ لاشيء فيها ، غيرُ اصورةٍ

سفع الخدود ، يلحن كالشمس

3 ـ أو غير آثار الجياد ، باعـ

[1] . المصدر نفسه، 5 ـ 10 .

ـراض الجماد ، وآية الدعس

4 ـ فوقفت فيها الركب ، احدس في

بعض الامور ، وكنت ذا حدس

5 ـ حتى اذا التفع الظباء باط

ـراف الظلال ، وقلن في الكنس

6 ـ ويئست مما كان يشفعني

منها ، ولا يسليك كالياس

7 ـ أنمي الى حرف ، مذكرة

تهص الحصى ، بمواقع ، خنس

8 ـ خذم نقائلها ، يطرن كأقـ

ـطاع الفراء ، بصحصح شأس

9 ـ أ فلا تعديها ، الى ملك

شهم المقادة ، ماجد النفس ؟

10 ـ والى ابن مارية الجواد ، وهل

شروى ابي حسان في الانس ؟

11 ـ يحبوك بالزغف ، الفيوض على

هيمانها ، والدهم ، كالغرس

12 ـ وبالسبيك الصفر ، يضعفها

وبالبغايا ، البيض ، واللعس

13 ـ لا يرتجي للمال ، ينفقه ،

سعد النجوم ، اليه كالنحس

14 ـ فله هنالك ، لا عليه ، اذا

دنعت أنوف القوم للتعس[1] .

يتمظهر في هذه القصيدة مبدأ العمود الشعري الذي قامت عليه القصيدة الجاهلية وأصبحت نموذجا يحتذ به في بناء عمود القصيدة العربية، فالقصيدة من حيث البناء الفني تتكون من مقدمة طللية ثم وصف الناقة ومن ثمة وصف الممدوح من حيث ملك أو شيخ قبيلة ، هذا البناء العام للقصيدة ، أما ما يخص

---

[1] ـالخطيب التبريزي: ،تحقيق فخري الدين قباوه ، شرح اختيارات المفضليات،،دار الكتب العلمية، بيروت ،ط2 ، 1987 ،ص:2 / 632

البنية الدلالية في هذه القصيدة ، فإننا يمكن أن نركز أولا على المعجم الشعري ودلالاته والذي يمكن أن نقسمها بين معجم الطبيعة المتحركة ومعجم الطبيعة الصامتة ، فجغرافية المكان وطبيعته الصامتة تتجلى في عتبة القصيدة ، إذ نجد المعجم اللفظي يتوزع بين أسماء المكان أو وصفه، فالأماكن التي توقف عند جزيئاتها الشاعر هي (((الديار ، الحبس) ، (الجبل) ، والمهارق (الصحف) ، والجياد (موضع) ، والأعراض (النواحي) ، والكنس (بيت الضباء أو الوحوش)) ، أما الطبيعة المتحركة فإنها انقسمت بين وصف الناقة والضباء، والبقر، والممدوح ، والتي تتمثل في (الأصورة (جمع البقر) ، يلحن كالشمس (لون البقرة بيضاء) ، والأواري (الحبال) ، الضباء ، انمي إلى حرف (وصف الناقة) ، والى ملك ، وقيس بن شراحبل ، الزغف (الدرع) ، الدهم (الخيل) ، الغرس (النخل) ، السبيك الصفر (الذهب)) ، فجغرافية المكان والإنسان والمقارنة بين ما كان وما أصبح عليه الطلل تقدم دلالة نصية كبيرة ترتبط بالمقارنة بين الحياة التي كانت وما تعج به أنسة وما أصبح من مكان خالٍ وموحش تسكنه الوحوش ، فالشاعر يبحث من خلال استرجاع طبيعة المكان في ذاكرته التي تستذكر الحنين ، والفراق ، والغرب والذي يجمعه بين الخراب والترحال ، والترحال الدائم فوصف الصحبة أو الركبان وحالة الظن أو الحدس عند الشاعر تدل على ما كان يظنه من حالة توهم وضياع وضبابية وحالة نفسية استرجعت أياما جميلة وحميمية ولكن ما يقطعها هذه الذاكرة المؤلمة هو ألم السفر والتعب وعدم الاستقرار، إذ إن وصف الشاعر لصورة الناقة يكشف عن دلالة تتشعب فيها معان كثيرة منها ما يرتبط بوصف الناقة وحركتها والتعب ووصف وطئها على الأرض وتكسيرها للحصى فهو وصف لقوة هذه الناقة ، وكذلك هو يدل على التعب والرحلة الطويلة التي قطعها هذا الشاعر في الوصول إلى الممدوح أو الملك ، ولعل هذا الطقس الشعري في وصف مشقة الرحلة ما هو إلا تكريما للمدوح والتأكيد على المسافة الطويلة التي قطعها الشاعر بحثا عن العطاء الذي يمكن أن يجده عند الممدوح أو الملك ،والذي وصفه الشاعر بدلالة تعبر عن كرم هذا الممدوح من كرمه الذي تمثل في الدروع والخيل والنخيل والسبائك أي المال ، وأن هذا الممدوح يعطي بدون أن يفكر بنضوب المال أو قلته فهو كريم بن كريم .

فالطابع العام لهذه القصيدة الجاهلية لا يخرج عن النموذج القصيدة الجاهلي من حيث المعجم الشعري الذي يتوزع اختياره بين وصف جغرافية الصحراء وما قد يتأثث في هذا المكان من وصف الطبيعة المتحركة والجامدة من حيث وصف البقر والضباء والناقة والصحبة ..الخ ، إضافة إلى تقديم صورة عامة لحياة الجاهلية التي تقوم على الترحال الدائم والتي تتمثل في الوقفات الطللية التي وقفها شعراء كثيرون أمام الديار مستذكرين ومسترجعين لأيام تعبر عن مدى الحزن والفناء الدائم الذي كان يلاحق الحياة في الصحراء ، ونظرا لحالة الجدب الدائم ، فإن أكثر الشعراء كان ديدنهم هو في مدح الملوك وشيوخ العشائر طلب للمال أو الهدايا ، وهو طقس جاهلي يجني عن طريقه الشاعر المال أو العطايا .

وخلاصة مما تقدم فإن التاريخ الطويل من التطور المفهومي والاصطلاحي والتخصصي لعلم الدلالة الذي تأثر في كل فترة بثقافة عصره اللغوية أدى الى أن تتشعب دراساته ونظرياته ومباحثه وطريقة عرض هذا العلم أو المنهج فمن المعيارية أو الوصفية إلى السياقية، والتأصيلية، واللسانية، والسيمائية، والتاريخية ،والنقدية، ولا نجانب الصواب لو قلنا إن هذا الانفتاح على العلوم الأخرى والنظريات فما هو إلا دليلا على جاذبية علم الدلالة للدراسات اللغوية وقدرته على كشف معاني النصوص ،ولعل من العيوب والانتقادات التي يمكن أن توجه إلى هذا العلم هو تشعبه في علوم كثيرة ، فضلا عن جدلية الطرح الذي قدمته مباحثه من حيث أصل اللغة التي في أكثر المرات قامت على أسس بعيدة عن العلمية مرتبطة بالفرضيات أو التكهنات ، فضلا عن كثر نظريات وتنوعها وتشعب مجالات استعمال مصطلحاته العلمية الكثيرة التي في بعض الأحيان يحدث فيها نوعا من الخلط أو التداخل والاشتباك المعرفي للمفهوم أو المصطلح الواحد .

المصادر والمراجع

- الخطيب التبريزي: تحقيق فخري الدين قباوه، شرح اختيارات المفضليات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 1987.
- عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، ط1.
- عبد الكريم محمد حسن : في علم الدلالة ، دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية ، 1997، مصر.
- عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دارالمنار،القاهرة 1411هـ.
- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دارتوبقال للنشر،المغرب 2000م .
- فايز الداية : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ، دار الفكر ، دار الفكر المعاصر ، ط2 ، 1996 ، دمشق .
- محمد داود، الدلالة والكلام في العربية المعاصرة، دار الغريب، القاهرة، 2002م .
- محمد علي الخولي : قواعد تحويلية للغة العربية، دار الفلاح، الأردن، ط1 ، 1999.
- محمد يوسف حبلص، اللغة والدلالة، البحث الدلالي عند الأصوليين،مكتبة عالم الكتب، 1991م .
- منقور عبد الجليل : علم الدلالة، أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 2001 ، دمشق .
- ، نعوم تشومسكي ، آفاق جديدة في دراسات اللغة والعقل ، دار الحوار للنشر ، ط1 ، 2009 ، سوريا .
- وليام جميس، ترجمة محمد علي العريان، تقديم زكى نجيب محمود،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1 ، 2008 .